Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للطريق وما فيه من مشقات . ثم يخرج من ذلك إلى الغرض من القصيدة ـ مدحا كان أو هجاء ، أو فخرا أو رثاء ـ فينهى القصيدة بالانتهاء من عرضه .

ولاشك فى أن هذا النظام الذى يقوم عليه الشعر الجاهلى ليس ابن يومه وليلته ، فهو نظام مر بأطوار ومراحل هذبت فيها حواشيه ، وتساقطت منه كل معوقات العمل الأدبى ، حتى وصلنا على مانراه اليوم من التكامل والتناسق .

لكن متى بدأت تلك الأطوار ؟ وكيف هذب الشعر فيها ؟ وما العوامل التى أثرفيه؟ ومن كان له الدور الواضح من الشعراء فى ذلك ؟ إلى غير تلك التساؤلات التى تفرض نفسها وتطفو على السطح فى مواجهة من يدرس من شعر هذا العصر .

الإجابة على مثل تلك التساؤلات من الأمور التى لايستطيع الدارس الموضوعى أن يقف على جواب لها ، بل ولا يستطيع أن يسلم بالافتراضات التى يجاب بها ، فليس بين أيدينا مايدل على شىء من ذلك أو يرجحه ، مما كان سبيلا إلى تجرؤ بعض المستشرقين ومن تابعهم من العرب فتشككوا فى صحة وما وصلنا من شعر هذه المرحلة وشككوا فيه ـ بل بلغ ببعضهم الجرأة أن أنكروه ـ معتمدين على فقدان الأثر المادى الذى يقطع بتلك النسبة مستبعدين ماعليه الشعر الجاهلى من أعراف فنية معقدة فى المعانى والموضوعات ، وفى الأساليب والصياغات المحكمة ، وفى الوزن والقافية .

والملاحظ أن هؤلاء وأولئك بنوا شكهم أو إنكارهم على افتقاد الشعر الجاهلى الوسيلة المادية التى تقطع بنسبته إلى عصره ، ويقصدون بذلك المكتوبات ... وهم فى ذلك يريدون أن يخضعوا الجاهليين لأعرافهم فى العصر الحديث ؛ وفاتهم أن الجاهليين كانوا لايثقون فى المدونات والمكتوبات ثقتهم فى المرويات ، لتقديرهم أن شعرهم فن توثقه الرواية أكثر مما توثقه الكتابة ، حتى لقد صرح ابن سلام فى طبقاته بأن وثقته الرواية لاينفى بما أخذ عن صحيفة[1] .

وأنهم ـــ كذلك ـــ بنوا هذا الشك أو الإنكار على أن ما بين أيدينا من شعر الجاهليين يمثل المرحلة الأولى من هذا الشعر ، ومن ثم فليس مقبولا ، أن تكون تلك المرحلة الأولى على مثل هذا النضج . وفاتهم أن هذا يمثل مرحلة سبقت بمراحل ، غير أن نتاجها الأدبى طوى مع الزمن كما يقطع بذلك العقل السوى .

(١) طبقات فحول الشعراء جـ ١ ص ٤ بتحقيق شاكر .